

تفسير السعدي

@ 237 @ يدعوهم إلى معاداتهم . وكذلك ما كان عليه المشركون ، والكفار والمخالفون للمسلمين ، من قدحهم في دين المسلمين ، واتخاذهم إياه هزوا ولعبا ، واحتقاره واستصغاره ، خصوصا الصلاة ، التي هي أظهر شعائر المسلمين ، وأجل عباداتهم . إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعبا ، وذلك لعدم عقلهم ، ولجهلهم العظيم . وإلا فلو كان لهم عقول ، لخضعوا لها ، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس . فإذا علمتم أيها المؤمنون ، حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم فمن لم يعادهم بعد هذا ، دل على أن الإسلام عنده ، رخيص ، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه ، أو قدح بالكفر والضلال ، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء . فكيف تدعي لنفسك دينا قيما ، وأنه الدين الحق ؛ وما سواه باطل ، وترضى بموالاته من اتخذها هزوا ولعبا ، وسخر به وبأهله ، من أهل الجهل والحمق ؟ وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ، ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم . ^ (قل ي أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بآ ما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل * وإذا جاءكم قالوا آمننا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون * وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) ^ أي : ! 2 2 ! يا أيها الرسول ! 2 2 ! ملزما لهم . إن دين الإسلام هو الدين الحق ، وإن قدحهم فيه ، قدح بأمر ينبغي المدح عليه : ! 2 2 ! أي : هل لنا من العيب ، إلا إيماننا بالله ، وبكتبه السابقة واللاحقة ، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين ، وبأننا نجزم أن من لم يؤمن بهذا الإيمان ، فإنه كافر فاسق ؟ فهل تنقمون منا ، بهذا الذي أوجب الواجبات على جميع المكلفين ؟ ومع هذا ، فأكثرهم فاسقون ، أي : خارجون عن طاعة الله متجرئون على معاصيه فأولى لكم أيها الفاسقون السكوت . فلو كان عيبكم ، وأنتم سالمون من الفسق ، وهيهات ذلك لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم . ولما كان قدحهم في المؤمنين ، يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر ، قال تعالى : ! 2 2 ! لهم ، مخبرا عن شناعة ما كانوا عليه : ! 2 2 ! الذي نقتم فيه علينا ، مع التنزل معكم . ! 2 2 ! أي : أبعدته عن رحمته ! 2 2 ! وعاقبه في الدنيا والآخرة ^ (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) ^ وهو الشيطان ، وكل ما عبد من دون الله ، فهو طاغوت . ! 2 2 ! المذكورون بهذه الخصال القبيحة ! 2 2 ! من المؤمنين

الذين رحمة الله قريب منهم ، ورضي الله عنهم ، وأثابهم في الدنيا والآخرة ، لأنهم أخلصوا له الدين . وهذا النوع ، من باب استعمال أفعال التفضيل في غير بابه . وكذلك قوله : ^ (وأضل عن سوء السبيل) ^ أي : وأبعد عن قصد السبيل . ! 2 2 ! نفاقا ومكرا ^ (و) ^ هم ! 2 ! 2 ! مشتملين ! 2 2 ! فمدخلهم ومخرجهم ، بالكفر وهم يزعمون أنهم مؤمنون . فهل أشر من هؤلاء ، وأقبح حالا منهم ؟ ! 2 2 ! فيجازيهم بأعمالهم ، خيرها وشرها . ثم استمر تعالى ، يعدد معائبهم ، انتصارا لقدحهم في عبادة المؤمنين فقال : ! 2 2 ! أي : من اليهود ! 2 2 ! أي : يحرصون ، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين . ! 2 2 ! الذي هو الحرام . فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك ، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه . وهذا يدل على خبثهم وشرهم ، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم . هذا ، وهم يدعون لأنفسهم ، المقامات العالية . ! 2 2 ! وهذا في غاية الذم لهم ، والقبح فيهم . ! 2 2 ! أي : هلا ينهاهم العلماء ، المتصدون لنفع الناس ، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم ، ليزول ما عندهم من الجهل ، وتقوم حجة الله عليهم . فإن العلماء ، عليهم أمر الناس ونهيهم ، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي ، ويرغبون في الخير : ويرهبوهم من الشر ! 2 2 ! . ^ (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما